اهداءات ٢٠٠٣

أسرة أ.د/على عبد الواحد وافى

القاهرة

الاقتصاد الإسلامي

مدخل ومنهاج

بحث فيما اجتمع للناس من دراسات اقتصادية، في القرنين الأخيرين بوجه خاص.. وما عادت به هذه الدراسات من استقرار أو من اضطراب؛ وتمهيد لدراسة الاقتصاد الإسلامي.. إذ مادته وفيرة جدًا.. وما هذا الذي نقدمه للقارئ - إلا «مدخل ومنهاج»..

الكتاب الأول في المدخل

عيسى عبده

أستاذ الاقتصاد الإسلامي

كلية الشريعة والقانون جامعة الأزهر

الطبعة الأولى

١٣٩٤ هـ - ١٩٧٤ م

المؤلف :

عيسى عبده

أستاذ الاقتصاد الإسلامي

كلية الشريعة والقانون جامعة الأزهر

أستاذ الحضارة الإسلامية بكلية الاقتصاد والتجارة بالجامعة الليبية،
أستاذ إدارة الأعمال بكليات التجارة والاقتصاد بجامعة عين شمس وبالجامعة الليبية،
أستاذ منتدب بكليات الهندسة بجامعة القاهرة وبجامعة الإسكندرية،
أستاذ منتدب بالمعهد العالي لشئون القطن وبالمعهد العالي للدراسات الإسلامية،
ومحاسب قانوني «سابقاً».

بسم الله الرحمن الرحيم

يقول المؤلّف :

«... ولقد نظرتُ فى كثير مما خطته يدُ الإنسان، فلم أجد كمقال العِماد[1] صوابا، ولقد نظرتُ فى كتاب الله.. وعجبت، كيف يُدعى ما عداه كتابا؟!

---

(١) الإشارة إلى «العماد الأصفهانى» وقوله :
«إنى رأيت أنه لا يكتب إنسان كتابا فى يومه إلا قال فى غده لو غُيِّرَ هذا لكان أحسن، ولو زيد كذا لكان يستحسن، ولو قُدِّم هذا لكان أفضل، ولو تُرِك هذا لكان أجمل وهذا من أعظم العبر، وهو دليل استيلاء النقص على جملة البشر».

مقدمة

يقول بعض البسطاء : إن الاقتصاد علم مستورد ، ولا عهد للمسلمين به إلا نقلا عن الغرب .. وهذا الغرب قد نقل عن الإغريق .. ومن ثم غرق الكثير من بلاد المسلمين فى بحر لُجِّى من ضلالات الرأسمالية وبغيها .. واصطبغت المعاملات بالكثير من صِبغة الغرب .. وقد كان مستعمرا جائرا وإنه لايزال !!

ثم تهاوت الدولة العثمانية خلال القرن التاسع عشر .. وقطع خصوم الإسلام أوصالها من مطلع القرن العشرين [1] وبخاصة من بعد الحرب العالمية الأولى .. وذهبت فرق المسلمين كل مذهب .. وانتبه بعضها إلى خطورة الغرب فاتجه إلى الكتلة الشرقية. وبدأت الشيوعية تسرى فى خفاء حتى انقضت الحرب العالمية الثانية ، وقد كانت روسيا حليفة للغرب الاستعمارى وانتصرت على المحور المشهور (طوكيو / برلين / روما) وفى ظل هـذا الحلف العسكرى بين الرأسمالية والشيوعية اتسعت فرص انتشار المذاهب اليسارية فى أرض المسلمين .. وضاق المحافظون من بقايا الدولة العثمانية بهذا الاتجاه وتجمعوا لصد التيار الذى يهدد مصالحهم .

وهكذا انقسم العالم الإسلامى (وبخاصة ماكان منه فى دائرة الدولة

---

(١) فى عام ١٩٠٧ اجتمع مؤتمر فى لندن لدراسة مشكلات الاستعمار وما يواجهه خلال القرن الجديد (أى العشرين) ومن بين الدراسات ذات المغزى الخطير قول بعض المؤتمرين إنه لا أمل فى استغلال موارد القارة السوداء (إفريقيا) .. ولا أمل فى القضاء على الدولة العثمانية فى الوقت ذاته .. مايبقى الشريط الساحلى فى شمال أفريقيا تحت سيطرة المسلمين .. ومن ثم كانت إحدى التوصيات : القضاء على هذه الوحدة المتصلة فيما بين المغرب العربى والمشرق العربى بتقسيم الأرض إلى دويلات مستقلة .

العثمانية حال وجودها) إلى قسمين مميزين فى شئون الاقتصاد .. أحدهما نصير للرأسمالية والآخر نصير للشيوعية .

فظهرت فى أرض المسلمين مذاهب : الاشتراكية العلمية (الحديثة) واليسار الوطنى والماركسية الإسلامية[1] واشتد العداء بين مجموعتين كبيرتين من فتات الدولة العثمانية وبقايا الأمة الإسلامية .. وكان ذلك من أواسط القرن الحالى .

وأسهمت أجهزة عديدة فى تثبيت هذه المذاهب فى أرض المسلمين .

ولسنا الآن بصدد هذه الأوضاع ، ولكننا نقول : سلّم الجيل الحاضر من الأمة الإسلامية بأنه ليس فى الأرض إلا كتلة غربية وكتلة شرقية .. وأنه لا مفر من اللحاق بهذا الركب أو ذاك .

وسلّم بعض من الجيل الحاضر بما هو أسوأ من ذلك .. فقبل الدعوى الخبيثة . . . القائلة بأن الاقتصاد غريب عن الإسلام .. وهنا نقف لحظات لنقول :

يبحث الاقتصاد فى كسب المعاش وإشباع الحاجات والادخار والاستثمار وفى ملكية الأشياء وتمليكها .. وفى هذه الأمور ينفق الناس معظم الدخول أو ينفقون الدخول كلها فى بعض البيئات .

فإذا كان الإسلام قد خلا من وضع القواعد لكل ماتقدم ذكره .. فهل يكون شرعا كاملا ؟ .. وإذا كان الإسلام برسالته الخالدة .. قد أهمل

---

(١) الماركسية الإسلامية « وافدة فكرية » جديدة فيما نعلم .. ولعلها أحدث صيحة فى عالم الفكر الاقتصادى المعاصر ... ظهرت فى إيران ، ولم تثبت قوائمها بعد ، ولعلها بعث للزندكة القديمة على أنها وكثيرا غيرها من المذاهب المعاصرة ردود فعل للظلم الذى يقع فيه بعض الحكام .

النظر فى مقومات الحياة الدنيا .. وترك هذا الأمر لمفاليك القرن التاسع عشر ومن جاء فى إثرهم .. فهل يكون هذا الشرع كاملا ؟ .

إن الله جل شأنه ينبئنا فى سورة المائدة بأنه قد أكمل الدين وأتم النعمة فهل نقبل هذا القول .. أم نتركه جانبا ؟ .. هذه القضية البسيطة الواضحة تجبهه المكابرين بموقف لابد أن يكون لهم فيه رأى وقرار .. وفى هذا الموقف يقول المنصفون : أيها الناس . . لايصح فى الفهم أن يخلو الإسلام من شئون الاقتصاد وإلا لماكان دينا كاملا .. وهذا ـ إذن ـ دليل عقلى على أن الإسلام لايمكن أن يخلو من كل شئون الاقتصاد .. مادمنا نؤمن بالرسالة الخاتمة ، وبأنها جاءت كاملة .

وما بنا من حاجة إلى مزيد من البيان إن كنا مسلمين ، لأن الله أكرمنا ، وأنبأنا بقيمة هذا الدين ، فقال جل شأنه :

« اليوم يئس الذين كفروا من دينكم فلا تخشوهم واخشون ، اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الإسلام دينا(١) ».

وقال أيضا : « ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه ، وهو فى الآخرة من الخاسرين (٢) » .

يخلص مما تقدم أننا نؤمن بأن هذا الدين هو الحق ، وأنه كامل ، ومن ثم لايجوز عقلا أن يخلو من تنظيم كسب المعاش ، هذا عن الدليل العقلى .

بقى تصديق ذلك بالنقل الصحيح ، فيجتمع الدليلان العقلى والنقلى ، على القول بأن الإسلام شامل لكل ماتثيره الدراسات الاقتصادية من أصول وفروع ، وبعد إدراك ذلك ، يتقدم الدارس المتخصص إلى الموازنة فيجد أن دور الإسلام فى هذه الدراسات لايقف عند حد اشتمالها ، بل يتعدى ذلك إلى التفرد بأمور أهمها :

---

(١) من الآية رقم ٣ من سورة المائدة .
(٢) الآية رقم ٨٥ من سورة آل عمران .

— أن الاقتصاد الإسلامى محيط بالكليات والجزئيات ،

— وأنه ، فى إحاطته هذه ثابت على الزمان والمكان ،

— وأنه ، شامل للجنس البشرى بغير تمييز ،

— وأن مصدره الأول مفارق لقدرات البشر لأنه وحى من عند الله ،

— وأن مافيه من اجتهاد .. مقصور على المسائل والفروع دون الأصول والكليات .. ومن ثم فإن قوانينه دقيقة ويقينية وشاملة .

* * *

وفى هذه الصفحات بداية متواضعة لبيان ماجاءت به النقول المنصفة من تأييد لما نقول به .. ولقد جعلنا هذا الكتاب بقسميه (المدخل والمنهاج) فى سلسلة تصدر تباعا إن شاء الله تعالى ويُعرف كل كتاب بالرقم الذى يحمله حال ظهوره ، فنقول : الكتاب الأول ، الكتاب الثانى ، الكتاب الثالث ، وهكذا إلى ما شاء الله .

واتباع هذا الأسلوب يستلزم شيئا من الإيضاح . . فنقول :

أولا : تتحدد مادة الكتاب فى أوله ، فقد تتناول النظرية الاقتصادية أو الفكر الاقتصادى أو الرأى .. كما قد تتناول قضية خلافية تقع فى ميادين التطبيق مثال ذلك : أساليب الصيرفة ، توزيع السكان ، اشتغال المرأة بكسب المعاش إلى آخر هذه القضايا المعروفة والتى تهم الرأى العام فى البلاد العربية بل وفى العالم بأسره .

ثانيا : قد يلحظ القارىء أن الكتاب الثالث مثلا كان أولى بالتأخير إلى مابعد ظهور الكتاب الرابع والخامس . . ومن حقه إذن أن يثير مشكلة الترتيب مقررا أن المنطق يسانده ولا يساند المؤلف فيما ذهب إليه فى تتابع ظهور المادة الاقتصادية ونشرها على القراء . . ولكن إذا عرف القارىء

بدوافع هذا التصرف لأقره ومن ذلك : مانرجوه من أن تنتشر هذه المادة فى بلاد عربية كثيرة ويقع كل منها فى إطار قانونى مستقل ، وللأنظمة فى كل بلد معاييرها .. فالبلد الذى يأخذ بواحد من المذاهب الاشتراكية قد لايرحب بالموازنة بين هذا المذهب وغيره .. وكذلك الحال فى البلد الذى يأخذ بالمذهب الرأسمالى ،وفى بعض البلاد تشتد الحاجة إلى مزيد من السكان كما فى ليبيا والسودان ، وفى بعض آخر من البلاد يتكاثر الخلق بسرعة تفوق القدرة على التنمية الاقتصادية . . والحدود السياسية حواجز مقدسة فى زماننا هذا ـ بصرف النظر عما نظنه صوابا ـ فإذا تناولنا الدعوة إلى تحديد السكان بالنقد العلمى .. وإذا حشدنا من الحجج والبراهين مانستطيع أن نجمعه فى هذا الخصوص فإن أقوالنا لاتلقى ارتياحا فى البلد الكثيف أو المكتظ وان كانت تجد التشجيع فى بلد يحتاج إلى أضعاف سكانه الحاليين .. ولمزيد من بيان هذه الجزئية الهامة نقول :إن الأرض الزراعية فى الجزائر تزيد على ٧٠مليون فدان أما السكان فلا يزيدون على خمسة عشر مليونا وهنا مجال لمزيد من العناية بتنشئة النسل والإكثار منه وزيادة قدراته الإنتاجية .. وتشجيع الهجرة من خارج البلاد إلى داخلها . . ومثل ذلك يقال عن السودان حيث تزيد الأرض الصالحة الزراعة على مائتى مليون فدان ولا يزيد عدد السكان على سبعة عشر مليونا . . وعكس ذلك يقال عن بلد مكتظ شديد الكثافة السكانية مثل مصر بحدودها السياسية الحاضرة (أى بصرف النظر عن خطوات الوحدة التى نرجو لها النجاح) .

وهكذا يتضح أن الكلام عن السكان يلقى الترحيب فى بلد عربى ويثير الاعتراض فى بلد آخر ، لذلك فقد رأى المؤلف أن يقسم المادة الاقتصادية على كتب وكتيبات تظهر تباعا . . دون الالتزام بحجم نموذجى لكل الكتب المتتابعة ودون الالتزام بإظهار جزء متكامل من مجلد أول وثان وثالث على نحو ماهو متبع فى الدراسات العلمية الرتيبة .

وبحسب المؤلف أن يختار قضية واحدة أو عددا من القضايا الفكرية لتظهر معا فى كتاب يحمل الرقم المسلسل الذى يدل على ترتيب النشر فى هذه الظروف الخاصة .

* * *

ولقد كنا نرجو أن يكون الكلام عن الاقتصاد الإسلامى فوق المذاهب والعقائد الوضعية .. وفوق الفكر والرأى .. ولكن ، كما يعلم القارىء من غير شك ، لم يسلم الدين الإسلامى بمصادره الوثيقة العظيمة من خلاف حول التأويل والتفسير .. ولذلك لا يكفى أن يقول الكاتب إن الحكم الإسلامى كما يفهمه فى قضية مّا هو كذا .. لأن الرد عليه يجىء من جماعات (المجتهدين) الذين لا يخلو منهم أى جيل .. منهم المخلصون ومنهم دون ذلك — والله أعلم بالسرائر .

* * *

وهذا القدر من الإيضاح إذن يكفى لبيان الظروف التى أملت علينا إظهار هذه المادة الاقتصادية فى كتب وكتيبات . . كل منها نافع فيما نرجو وإن كان التسلسل المنطقى قد يختلف مع الترتيب الواقعى أحيانا .

ولله فى خلقه شئون ، نحمده تعالى على ماقدّر وهدى وندعوه أن ينفع بهذا القليل الذى نقدمه « وكل شىء عنده بمقدار » .

المؤلف

الجيزة فى { شعبان ١٣٩٣ هـ
سبتمبر ١٩٧٣ م

أصل هذا الكتاب

— يقول المؤلف : كتبتُ بعض هذه الصفحات فيما بين شهر رمضان من سنة ١٣٩٢ هـ وشهر ربيع الآخر من سنة ١٣٩٣ هـ .

— وبعضٌ آخر سبق ظهوره فى طبعة أولى من دراسات هادفة إلى وضع الاقتصاد السياسى فى الميزان .. تمهيداً للدخول فى المنهج العلمى المناسب لدراسة الاقتصاد الإسلامى .. ومن ثم كان الوزن القسط للاقتصاد السياسى جزءاً لا ينفصل عن المدخل إلى دراسة الحضارة الإسلامية (١) وبخاصة فى فرعها المختص بما يكون به تماسك البدن والجنس .. أى فى شئون السلعة والطيبة والخدمة (٢) على ماهو مشهور فى الدراسات الاقتصادية المعاصرة .. وهى ثمرة جهود متصلة فى مائتى عام مضت .. أو تزيد ولقد رجعتُ خلال الصيف من عام مضى ، إلى المادة المطبوعة لتهذيبها بالحذف وبالإضافة لمزيد من البيان .

— وطائفةٌ ثالثة من هذه البحوث .. أصلها محاضرات عامة ألقيتها فى مراكز للثقافة ومن خلال أجهزة الإعلام وفى بعض المعاهد العليا والجامعات .. وكان لإلقاء المحاضرات والإسهام فى الندوات العلمية أثر كبير عند المؤلف

---

(١) يجىء ذكر الحضارة الإسلامية هنا .. عرضا . على أساس أن كثيرا من الدراسات الإنسانية يدخل فى مفهوم الحضارة عند كثير من الكتاب .. والاقتصاد دراسة إنسانية .. ثم إن المؤلف يفضل البحث فى « القيم الإنسانية » وتفرد الدين بوضع قواعدها الدائمة .. وبرفع هذا كله فوق ما يقال له « حضارة » ، وقولنا هذا يشير الى كتاب تحت الإعداد .

(٢) فأما الاقتصاد الإسلامى فينفرد بالتحديد الوافى لمجال الدراسة فيزيد على القدر المشهور شأنا آخر . هو « الزينة » قال تعالى « وما أوتيتم من شىء فمتاع الحياة الدنيا وزينتها وما عند الله خير وأبقى ، أفلا تعقلون » الآية ٦٠ من سورة القصص .

بما عليه من الزملاء ومن الدارسين خلال اثنى عشر عاما استمر فيها الجهد لإرساء هذه الدراسة على أسس علمية ، ووضع مفرداتها فى إطار جامع .. ولعل شيئا من ذلك قد كان .

وفيما تقدم من بيان عن أصل هذا الكتاب ، قد كفى ، لولا أن فى النفس شيئا لا يدخل فى نطاق الشئون الخاصة ، حتى يجوز كتمانه ، وإنما هو أمر عام يهم المشتغلين بالدعوة إلى الإسلام قولا وعملا .. ومن ثم أرى من واجبى إضافة هذه الكلمات استطراداً مما تقدم ذكره عن المحاضرات والندوات العلمية وأجهزة الإعلام .. ذلك أنه ،

فيما بين عامى ١٣٩٠ و ١٣٩١ هـ قمت برحلة حول العالم .. وتوقفت عند القليل من البلاد فى آسيا وأمريكا الشمالية وأوربا ثم فى الخليج العربى وأكبر الظن أننى خرجت من هذا التجوال بقدر من العلم والمعرفة يزيد كثيرا على ماقدمته للناس .. ففى اليابان ألقيت عدداً من المحاضرات ، خلال شهر واحد بكل من جامعات طوكيو وأوزاكا .. وفى مراكز الثقافة فى بعض البلاد .. وفى مسجد « كوبيه » وفى جزر متناثرة .. ومن تجاربى ماهو جدير بالذكر هنا .. ففى جامعة أوزاكا للدراسات الأجنبية ، مثلا حيث ألقيت بعض المحاضرات عن « الإسلام والنشاط الاقتصادى » كان اهتمام الكثرة من الطلاب والأساتذة الذين تابعوا المحاضرات .. يستوقف النظر .. ومن ذلك أن أستاذين حرصا على الاتصال بالمحاضر خارج قاعات الدرس لمزيد من التعارف ... أحدهما « كاجايا ... KAGAYA » وهو رئيس قسم لبعض الدراسات الشرقية ، والآخر « إيكيدا ... EKIDA » وهو أستاذ مساعد بقسم اللغة العربية .. بالجامعة المذكورة (١) .

طلب هذان الأستاذان مزيدا من نشرات التعريف بالإسلام .. وقال

---

(1) Osaka University For Foreign Studies, OSAKA JAPAN.

الثانى منهما « إيكيدا » إنه عكف على ترجمة القرآن من الإنجليزية إلى اليابانية مع زميل له .. وأتم العمل فى بضع سنوات ، ولا يذكر أنه رأى ، فى القرآن ، أثراً للدراسات الاقتصادية التى سمعها من كاتب هذه السطور . . ورتب على ذلك أن دراسة الإسلام ليست كما كان يتصور من حيث البساطة أو السذاجة ! ! ثم يقول : إنه يعترف بأنه نصف مسلم ونصف بوذى . . وكان لزاما أن أعتب على ما قاله .. فبينت له أنه ما قرأ القرآن ، ومن ثم لا محل للأسف على نقص العلم به .. لأنه « لا علم » بإطلاق .. فالقرآن يُقرأ كما جاء من عند الله وحسب ، بالنص وبالإيضاح المعتمد من الثقات من أهل النظر فى كتاب الله(١) أما أن يكون الأستاذ اليابانى نصف مسلم ونصف بوذى .. فهذا قول يأباه الإسلام ، وما عليه إلا أن يصبر ويتابع حتى يقتنع .. فإذا عرف من الدراسة الشاملة من هو الخالق عز وجل وما الغيب ، وما الرسل ، وما الدين . . فإنه بعد ذلك يقلع عن الشرك بالله ، فما كان « بوذا » إلا رجلا صالحاً كما يقول أتباعه . . وليس لله شركاء . . ومحل النظر هنا أكبر من أن يشار إليه عن بُعد ومن ثم نزيد الأمر إيضاحاً فنقول عن اليابان :

— هذا الشعب الشرقى الذى أذهل العالم بقدراته الفائقة وبنظامه وبسلوكه . . قد زاد على مائة ملايين وعشرة ملايين (١١٠ ملايين) . . ولم يدخل فى الإسلام من هذا الجم الغفير إلا تسعمائة (أى أقل من ألف نسمة) بعد جهود متصلة لمراكز الدعوة إلى الإسلام خلال أربعين عاما على حين أن الذين اعتنقوا المبادىء اليسارية المتطرفة والوجودية والإلحاد قد زادوا على أحد عشر مليوناً فى فترة ما بعد الحرب . . . أى فى خمسة

---

(١) بعد طول أناة ، وبعد قدر مناسب من البحث ، يعتقد المؤلف ان ترجمة القرآن ضرب من المحال .. ولذلك لايشغل نفسه بالبحث فى التحليل والتحريم إذ الأمر ممتنع اساساً وفى هذا تفصيل يخرج عن نطاق البحث الحالى .

وعشرين عاما !! فما السر فى هذه المفارقة ؟ وما السر فى فشل الدعاة إلى الإسلام ونجاح غيرهم ، ونحن نعلم أن الأولين على حق وأن الآخرين على ضلال ؟

تقع الإجابة على هذا التساؤل فى صميم مادة هذا الكتاب . . وفى صميم الرسالة التى يتجه إليها بعض المصلحين ، بعد أن يئسوا من الأخذ عن الغرب ، ثم يئسوا من الأخذ عن الشرق . . ولذلك أريد أن استطرد حتى أصل مع القارىء إلى تجلية الحقيقة ما وسعنى الجهد . . وسأبقى الجواب لحظة ، لأنتقل إلى موقف آخر لبعض الفتيات فى اليابان . . من المسلمات قالت إحداهن : لقد آمنا بهذا الدين عن فهم واقتناع[1] ومضت أعوام ونحن نعيش فى هذة البيئة التى نشأنا فيها . . فلا الإسلام ينتشر ولا نحن نملك الصمود وحدنا . . وحين تدخل إحدانا إلى بيت رجل بوذى . . فإنها تعود أدراجها إلى دين زوجها . . ثم أضافت على استحياء : لقد نسيت الاسم الذى ارتضيته يوم أسلمت . . حتى ما عدت أذكر نطقه ولا هجاءه فما ظنك بالعبادات وبالأحكام ؟ . . لم تكن هذه الفتاة هى الوحيدة فى لقائى ببعض الأسر المسلمة التى تعيش فى أعماق جزر اليابان . . بل كن كثيرات نسبياً ، ومن الحديث إليهن علمت أن المرأة ، غير المسلمة ، تنصت لما فيه صلاح حالها فى الحياة الدنيا . . علمت من المرأة اليابانية التى ارتضت الإسلام ديناً . . أنها قد أحبت من آدابه وأحكامه ما يحفظ على المرأة حياءها وطهرها . . وما يحميها من طغيان الرجال وابتذالهم للنساء بالثمن . . أحبت من الإسلام أنه يحفظها من الضياع .

ثم عدت بالذاكرة إلى أحاديث الطلاب فى طوكيو . . وفى أوزاكا بوجه

---

(١) إنصافاً لرجل فاضل من الدعاة إلى الإسلام . . نقول إن الشيخ محمد جميل . . من « لاهور » كان ناشطاً فى الشرق الأقصى بدافع من نفسه . . نحو من عشرين عاماً . . ولكن جهود الأفراد غير كافية وما فى المتن من إشارة ، يرجع إلى جهود محمد جميل .

خاص .. كما عدت إلى أحاديث «كاجايا» و «إيكيدا» وعلمت أن الرجل الياباني يحب من الإسلام حضه على الشقاء في سبيل طلب العيش . . وكفالته لثمرات العمل الشريف مع تتابع الأجيال ، بالميراث ، وحرصه على إقرار الأمن والعدل فيما بين درجات المجتمع وفيما بين الشعوب . . هذه زاوية نظر .. وللنساء زاوية أخرى . . وكل فريق يهتم في المحل الأول بما يعنيه . . أو بما يصلح من شأنه .. ثم إني ذكرت قول الله تعالى « ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن ، إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين[1] » .

— حدث مثل ذلك في الولايات المتحدة .. بعد اليابان .. في جامعات كاليفورنيا وبيركلي وستانفورد .. ثم في شيكاجو . . وكان البرنامج عندئذ يضم عشرين جامعة في الوسط والشرق من الولايات . . ثم يضم جامعات أخرى في كندا .. ولكني توقفت في شيكاغو وتعطل البرنامج لعارض صحي ثم تابعت من جديد ، بمقدار ، في سويسرة ، ثم في (أبوظبي) .. وأينما ذهبت وجدت ظمأ للدين الحق ، فالرجال تعبوا من الجدل حول النظم الاقتصادية ويرون أن البشرية في مأساة . . إذ لم يبق فيها وضع اقتصادي « مقدس » كما زعم علماء الاقتصاد من الإنجليز في القرن التاسع عشر[2] ثم عصفت رياح الفكر بكل ما كان مقدساً من قبل .. والناس في فزع من ضياع الأسرة وابتذال الجنس . . وإذ لم تجد الشعوب المتفوقة في الحضارة المادية حلا لمشكلاتها . . فقد ضاقت بالنفس البشرية وبالأرض وما عليها ومن عليها . . واتجهت إلى الفضاء .. وحققت بعض النجاح ، ولكن ماهي النتائج العملية من حيث وصول الناس إلى مزيد من الرفاهة وقدر معقول من قرار النفوس؟ لا شيء .. لا شيء .. فالإنسان من أديم الأرض وخروجه منها كبير النفقة

---

(١) الآية رقم ١٢٥ من سورة النحل .

(٢) عرض «مارشال» لهذه القضية الهامة بإسهاب وباقتدار في مؤلفه الرئيسي المشهور .. وقد جئنا بطرف من أقواله في بعض موضوعات هذا الكتاب .

إلى حد مانع من المتابعة ومن التوسع فى نقل الجماعات لتعيش فى أجرام السماء!! إذن هو الهروب من مشكلات الأرض ، وشغل الناس بفتوح علميـــة وإنجازات جسام .. ولقد نجح هذا كله بمقدار ، وإلى زمن محدود ، ثم عاد الناس يتساءلون : عاد الرجال يتلمسون المنهج الواضح إلى كفالة الأمن والقوت ، وعاد النساء إلى التساؤل عن المصير الذى ينتظرهم فى ظل حضارة مادية تعود بالناس إلى حياة الغاب .. أو إلى ماهو أضل سبيلا !! وفى هذا تفصيل تفيض به الأنباء ويعف عنه القلم . . وإنه لخطر داهم يهدد الأمة الإسلامية فى العقيدة وفى نظامها الاجتماعى الذى كانت تُحسد عليه إلى عهد قريب .. فكيف نواجه الخطر ؟ هذا هو السؤال .

والجواب : أن الدعوة إلى الحياة الفاضلة المستقرة لا تكون بأسلوب واحد على مر العصور .. بل تتغير الأساليب لتواكب الزمن .. مع بقائها فى الإطار المحكم الذى دلنا عليه القرآن وهو القول الحق الذى لا تُبلى طرائقه .ولقد علمت — أيها القارىء — من حديثى إليك فيما تقدم من سطور .. أن الشعوب المتقدمة فى شوق إلى أسلوب للدعوة مناسب لأحداث هذا الزمان .

وفى شئون المعاش وكسبه ، وتوزيع الأرزاق وتملك الثروات وتتابع الأجيال دون إهدار لجهد السلف ولا حقّ الخلف .. مجال — أى مجال — لجلاء جانب من تفرد الإسلام بالكمال وبالثبات جميعاً . . ولهذا كانت دراسة الاقتصاد — فى نور الإسلام — فرعاً كبير القدر فى دراسة الحضارة . . ولهذا أيضاً كان دور الجيل المقبل على الحياة دوراً مرجواً لجل ما أشرنا إليه من آمال ومن تبعات .

الباب الأول

مدخل البحث

١

الاقتصاد الإسلامى فى كلمات

Economics as per Islam in a nut - shell

تمهيد

فى هذا المقال عرض واضح وشديد الإيجاز للمادة الاقتصادية ، كما فهمها المؤلف ، بعد دراسة تكاد أن تكون متصلة فى خمسين عاماً من وقتنا الحاضر .. ولهذا المقال أهداف أهمها :

١ — الإحاطة ، قدر الطاقة ، بالمادة الاقتصادية التى يقال لها عادة « الاقتصاد السياسى » كما يقال لها أحياناً « علم الاقتصاد » وما هى بعلم له أصول ثابتة إلا فى القدر القليل من حصاد القرنين الأخيرين (التاسع عشر والعشرين للميلاد) وذلك تمهيدا للموازنة بينها وبين الاقتصاد الإسلامى .

٢ — توكيد هذا المعنى الذى تقدم ذكره من حيث إن هذه المادة كثيرة الشُّعب ، وفيرة العناصر ، شديدة التزاحم فيما بين الأفكار والآراء .. ومن ثم كانت الفلسفات التى عُرضت بأسماء أصحابها وما أقاموه على فلسفتهم من مذاهب وعقائد .. أكثرها تافه وأقلها قد ينفع الناس ، ولكنه — مع ذلك — لا يستقر .. لأن باب الجدل يبقى مفتوحا على مصراعيه . . لكل وافد من الأجيال وفى شتى أقطار الأرض .. ولذلك كانت هذه الدراسة محنة أصابت الفكر البشرى .. فى عهد الثورات الصناعية والفرنسية والاجتماعية والثقافية والسياسية .. وهذه كلها قد تواكبت فى وقت معاً خلال مائتى عام مضت .. وأضاءت ثمرات التقدم التكنولوجى المذهل الذى هُدى إليه الإنسان حتى ظن أنه « قادر عليها » وما زادته قدرته